المصطلح السردي عند عبد الملك مرتاض من خلال كتاب *نظرية الرواية*

أم الخير قوال
المشرف: أ.د أحمد حاجي، أستاذ التعليم العالي
مخبر النقد ومصطلحاته
جامعة قاصدي مرباح ورقلة

ملخص
تهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان سجوف مسألة المصطلح السردي في النقد الجزائري عند الناقد عبد الملك مرتاض، من خلال كتابه "نظرية الرواية" الذي قدم فيه أغلب ما يحتويه النص الروائي من مصطلحات تفتح للقارئ المجال للقراءة الواعية المتبصرة بالمصطلح، حتى يتمكن من معرفة التقنيات التي يتكون منها النص السردي، و قد ركز الناقد في هذا المتن على مصطلحات كبرى عرفها انطلاقا من مرجعيته الفلسفية والثقافية، التي أبانت عن موطن الاصطلاح و تسميته تسمية تراوحت بين الأصالة والمعاصرة.
الكلمات المفتاحية: *المصطلح، السرد، النقد، الرواية.*

Résumé
Le but de cet article est de décrire la question du terme narratif dans la critique algérienne du critique Abdelmalek Mortad à travers son livre la "Théorie du roman", dans lequel la majeure partie du texte contenait des termes romanesques ouvrant au lecteur le champ de la lecteur consciente tellement au courant du terme pour pouvoir connaitre les technique qui composent le récit du texte , le critique s'est concentré dans ce texte sur les termes du grand connu de la référence philosophique et culturelle, depuis l'origine du terme et son nom allait de l'originalité à la modernité.
Mots-clés *: terme, récit, critique, roman.*

Abstract
The purpose of this paper is to explain the question of the narrativ term in Algerian criticism by critic Abdelmalek Mortad, through his book the theory of the Novel , in which most of the text of novel has been presented in terms of opening the reader to the field of conscious reading of the term so the he can know the techniques that consist of narrative text, critic in this text on the terms of the great knew from the philosophical and cultural reference ,which revealed the home of term and called

the title of a journey between authenticity and contemporary.
***Keywords**: Terminology, Narrative, Criticism, Novel.*

تقديم

يشكل المصطلح السردي بالنسبة "*لمرتاض*" عنصرا مهما في معرفة خبايا نظريات السرد الحديثة، فقد حرص الناقد على تنوع الاستعمال الاصطلاحي ضمن الدراسات النقدي في الرواية والقصة والحكاية الشعبية، قديمها وحديثها. لهذا تعتبر كتاب نظرية الرواية واحدا من أهم الكتب التي عنيت بمصطلحات نقد الرواية، لما يحتويه من حديث مسهب ومفصّل عن السرد على المستويين المصطلحي والنقدي. ومنه نتساءل عن كيفية تلقي الناقد "عبد الملك مرتاض" مصطلحات السرد الغربية؟ وما هي المفاهيم الاصطلاحية التي قدمها من خلال تنظيره لنظرية الرواية؟ وما هي الفائدة النقدية المقدمة للقارئ.

المصطلح النقدي الروائي عند عبد الملك مرتاض

تناول مرتاض مصطلحات النص الروائي من خلال كتابه *نظرية الرواية* متبعا في ذلك ما جاء به الغرب أثناء حديثهم ونقدهم للسرد بصفة عامة، وقد احتوت هذه المدونة على مجموعة من المصطلحات يأتي ذكرها على النحو التالي:

1.مصطلح الرواية Roman /Novel

يعتبر المصطلح عند "مرتاض " من أهم المفاتيح التي تتيح للباحث قراءة النص بشكل يسير، لذلك كان لزاما عليه أن يتناول جانبا تنظيريا يخدم الناقد في تناوله للرواية، حيث شكّل مصطلح الرواية في الساحة النقدية إشكالات عدة، منها عدم الثبات في بنيتها العامة، فهي تتميز بالزئبيقية والحركية والتعدد في الانجاز أثناء التأليف، حيث

«تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه وترتدي في هيئتها ألف رداء وتشكل، أمام القارئ، تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا ذلك لأن الرواية تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى بمقدار ما تستميز عنها بخصائصها الحميمة بالإضافة إلى اشتراكها مع الحكاية والأسطورة، إنها تغترف بشيء من النهم والجشع من هذين الجنسين الأدبيين العريقين، وذلك على أساس أن الرواية الجديدة أو

المعاصرة بوجه عام. لا تلقى أي غضاضة في أن تغني نصها السردي بالمأثورات الشعبية، والمظاهرة الأسطورية والملحمية.» [1].

إن الرواية هنا تشترك مع أجناس أدبية كثيرة تجعلها صعبة التعريف حيث كان يطلق عليها مصطلح الحكاية أو القصة المطولة، وبالعودة إلى تنوع هذا الجنس الأدبي يرى باختين أن تداخل الرواية مع كثير من الأنواع الأدبية الأخرى يعد محاكاة بقوله

«تحاكي الرواية بسخرية كل الأنواع الأخرى، وبالضبط لأنها أنواع، وهي بذلك تكشف عن أشكالها ولغتها التعاقدية. إنها تقصي بعضها وتدمج بعضها الآخر في بنيتها الخاصة، معيدة تأويلها، ومانحة إياها رنة أخرى....»[2]،

بحيث يبقى حضور التراث هو السبب في هذه المحاكاة، لأن الروائيين حالوا الحفاظ على الموروث إما بالانطلاق من نوع سردي قديم كشكل، مثل ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ورحلات ابن بطوطة والقصص الشعبية وغيرها، بمعنى الجمع بين الموروث الأدبي والإنتاج الروائي أو القصصي. أو الانطلاق من نص سردي قديم محدد الكاتب والهوية كأن تتشابه بعض القصص والروايات في العناوين والمواضيع مثلا.

أما "مرتاض" فقد قدّم مفهوما لهذا المصطلح، مؤكدا فيه على صعوبة ضبط مفهومها "*الرواية من حيث هي جنس أدبي راق ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل تتلاحم في فيما بينها، وتتضافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا* "[3] ، وهو تعريف ينقصه الدقة و التمحيص في نظر بعض الدراسين والنقاد، لكونه لم يستعمل المصطلحات و الكلمات الموضحة والدالة على عناصر ومكونات الرواية.

من جانب آخر تظهر أثناء تعريف النقاد لمصطلح الرواية إشكالية "*الفرق بين مصطلحي القصة و الرواية وهي مشكلة مطروحة في النثر القصصي العرب* "[4] حيث تقر جل المقاربات النقدية أن الخلط في المفهوم بين القصة والرواية يعود إلى عدم تمكن البعض من إدراك حدود بنيتيهما، "*ثم إن هذه الإشكالات التي يوجهها نقاد الرواية في منظومة المفاهيم النقدية للرواية تشمل عددا مهما من القضايا منها الماهية و التصنيف والنشأة، وخصائص علاقتها*

---

[1] ـ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، عدد 240، 1998م، ص 11-12

[2] ـ سعيد يقطين، الرواية والتراث، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، دط، 1992 م، بيروت، ص 05.

[3] ـ عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص 27.

[4] ـ بن جمعة بشوشة، إشكالية مفاهيم النقد الروائي، مجلة الراوي، ع 18، ص

بالأجناس الأدبية الأخرى التي يستوعبها الخطاب "[5]، وقد عرف "مرتاض" مصطلح الرواية بناء على ثلاث اعتبارات أولها:

- "ويتمثل في أخذ مصطلح الرواية من المسرحية وهذا وارد عند النقاد الغرب.
- أن الرواية كانت تطلق على حرفة من يستظهر ويروي شعر الشاعر أو أشعار كثر.
- و هو القياس على المعاجم العربية المعاصرة التي أكدت أن هذا المصطلح يقوم على أساس الفعل "روى" الذي يربط المعنى القديم بالجديد "[6]، مما يعني أن مصطلح الرواية الحديثة و المعاصرة يقوم على هذه الاحتمالات خاصة أنها تعرف بالتبدل و التغير في حالات عدة، غير أنها لا تخرج عن ما عرف قديما سواء تعلق الأمر بم هو موجود في الاصطلاح الغربي أو العربي.

وفي خضم هذا التداخل يقدم "مرتاض" مفهوما بسيطا لمصطلح الرواية بعد أن قام بعرض النقاد الغربيين مثل فولقان قيصر، جوليا كريستفيا وغيرهم بتعريفها؛ بقوله: "*و أيا كان الشأن فإن أي رواية لا ينبغي لها أن تتصف بمجرد مادتها، ولكن يجب أن تستميز بخصوصية فنية تجعل منها شكلا سرديا فريدا، أي شكلا قائما على بداية و وسط ونهاية* "[7]. وبصورة أوضح فإن الناقد "عبد الملك مرتاض" يرى أن الرواية تتعلق بكاتبها "*الذي يجب أن ينشئ عالمه وهذا العالم ينتشئ لديه عبر كتاتبه، وسواء انصرف الأمر إلى وصف لظاهرة تقنية أم لوضع اجتماعي، أم لحركات داخلية، فإن الرواية ليست كما يزعم قيصر نتاجا production على وجه الإطلاق، ولكنها إبداع création* "[8]، ليتأكد لدى الكثير من النقاد و الدراسين أن الرواية هي شكلٌ سردي قائم بذاته يعمل الكاتب على إخراجه بصورة فنية عبر قالبا من الأشكال والبنى أولها الزمان و المكان و الشخصية و الحوار و لها أمور متخيلة للصنع حدثا تسيره إحدى هذه البنى.

ثم قسم "مرتاض" الرواية إلى أنواع منها تاريخية ونفسية وإيديولوجية بحسب ما جاءت به عند الغرب ليصل إلى نتيجة مفادها أن الرواية لم تعرف عربيا بقدر ما عرفت كجنس أدبي حديث عند الغرب وهم أول من عرفها.

---

[5] ـ المرجع السابق، ص 139.138.

[6] ـ عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص 25.24

[7] ـ عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، ص 14.

[8] ـ نفسه، ص 14.

ونفى "مرتاض " وجود محللي ومعرفي مصطلح الرواية لأنهم عرفوا الشعر أولا وما كان من أمر روايته و انشاده، أما النثر فقد عرف العرب المقامة عند المويلحي و الهمذاني و حافظ ابراهيم و محمد البشير الابراهيمي، بسبب أن المقامة هي"*الجنس الأدبي المعادل في ميزان تاريخ الأدبي العربي لجنس النثر*"[9].

وفي إجابة الناقد عن سؤال ما الرواية؟ فقد اعتمد على ما يلي:

- 1.الاستناد إلى الأصل العربي الذي جاء في لسان العرب و القائل: "أن مادة "روى" في اللغة العربية، هو جريان الماء، أو وجوده بغزارة أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال على حال "[10].
- 2.الإتيان بكل ماله علاقة بهذا المصطلح من مترادفات لغوية منها، مصطلح الاتوراء، الري الروحي، راوية، ... ليصل إلى النتيجة التالية "أن أصل معنى "الرواية " في العربية إنما هو الاستظهار"[11].
- 3. الانتقال إلى النقاد العرب وكيفية تلقيهم و تسميتهم لهذا المصطلح بالقول "أن الأدباء العرب كانوا يصطنعون مصطلح "رواية " لجنس المسرحية "[12] وذلك واضح في كتاب عبد العزيز البشيري، الذي يقول عن مسرحيتي "كليوبترا" و"عنترة" لـ "أحمد شوقي" نظم روايتين، إذن هو اعتبار مفهومي يتكرر لاستعمال المصطلح. ولقد كرر "البشيري " لفظ "الرواية " "بمفهوم المسرحية ست مرات في مقالة نشرها بالقاهرة، وكان الشيخ إذا أراد إلى مفهوم القصة، قال مثلا:"رواية قصصية "[13]، وقد رأى الناقد مرتاض في مثل هذا السلوك أن "اللغة النقدية كانت حائرة في العثور على المصطلح الملائم للمفاهيم الغربية الوافدة، وكان مصطلح الرواية يشيع بين الأدباء الجزائريين أيضا إلى عام 1954، حيث كانوا يطلقون على كل مسرحية مصطلح"رواية"[14]، لأن النقاد العرب لم يستقروا على مصطلح الرواية ومفهومه إلا في القرون الحديثة لأسباب منها تداخل الأجناس الأدبية فيما بينها، ووجود سمات مشتركة بينها، حيث أطلقوا على كل عمل سردي مطول مصطلح رواية.

---

[9] ـ نفسه، ص 20.

[10] ـ نظرية الرواية، ص: 20

[11] ـ نفسه، : ص21.

[12] ـ نفسه، ص: 23.

[13] نفسه، ص ن

[14] نفسه، ص ن

2.مصطلح الشخصية Personnages

يعد مصطلح الشخصية من المصطلحات التي لاقت اهتماما كبيرا بالنسبة للناقد، إذ راح يفسر وجودها وماهيتها عبر هذا المتن وغيره مما ألف وقد ظهر هذا المصطلح في كتاب نظرية الرواية بشكل مستفيض وضح من خلاله "مرتاض" مدى أهمية هذا العنصر في التشكل السردي، وأعرب عن وجود نقاد عرفوه بطريقة خاطئة، وآخرون دققوا في ذلك أيما تدقيق. حيث اعتبر أن "*الشخصية تسخر لإنجاز الحدث الذي وكل الكاتب إليها انجازه، وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب و تقنيات إجراءاته، وتصوراته وايديولوجيته أي فلسفته في الحياة.*"[15]، ويوضح هذا القول الطريقة التي يتم بها انجاز أو تأليف عنصر الشخصية داخل الرواية، بحيث تخضع لما يؤمن به الروائي، وعلى منواله يقدم للقارئ شخصية بمواصفات معينة.

من جانب آخر أكد "مرتاض" الفروق التي كانت موجودة في الشخصيات الرواية التقليدية وكيفية التعامل معها في النص واعطائها قيمة عالية وبين وجودها داخل الرواية الجديدة من خلال العناصر التالية:

- 1.تعامل الشخصية في الرواية التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي وهذا بتقديم ملامح وقامة وصوت وملابس.
- 2.ارتباط الشخصية في النص القديم بكل العناصر السردية الأخرى فلا وجود للصراع إلا بوجود شخصية تقوم به أو يحدث لها ولا حوار وزمان ولا مكان إلا وتحركه هي.

أما الشخصية في الرواية الجديدة فقد أصبحت على النحو التالي:

- 1.لم تعد مجرد كائن ورقي بسيط
- 2.أصبحت دراستها و تحليلها متعلق بإطارها الدلالي حيث اغتدى مجرد عنصر شكلي و تقني للغة الروائية مثلها في ذلك مثل الوصف والسرد والحوار حذو النعل بالنعل"[16].

وقد عرفت الشخصية كمصطلح أنها

"أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة...وهي تعد ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية، وبدون

---

[15] ـ نفسه، ص 75-76

[16] ـ نظرية الرواية، ص 77-76.

الشخصية لا وجود للرواية، لهذا نجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم الرواية الشخصية"[17]،

أما "مرتاض" فقد اكتفى بعرض آراء غيره حول مصطلح الشخصية وكيفية تواجدها في النصوص الغربية، مؤكدا على مسألة التغير الحاصل في النص القديم والجديد رابط إياها بمسألة الضمير.

حيث عرفها مثلا في كتابه تحليل الخطاب السردي قائلا "على حين أن الشخصية لدينا كائن حركي حي ينهض في العمل السردي بوظيفة الشخص دون أن يكونه، وحينئذ تجمع "الشخصية " جمعا قياسيا على الشخصيات لا "الشخوص" الذي هو جمع لشخص ويختلف الشخص عن الشخصية بأنه الإنسان لا صورته التي تمثلها الشخصية في الأعمال السردية والغربيون يميزون بسهولة بين personn- personnage- personage في حد ذاته وبين Héros- Hero من جهة أخرى"[18].

وخلاصة ما ذهب إليه "مرتاض" أيضا أنه اعتبر تسمية كافكا للشخصية بهذه ثورة كبرى على التقليد

"لأن الاسم الذي يطلق على الشخصية السردية لا يعني اعطاءها صفة لازبة ولا تؤكد شريتها أو خيريتها من مجرد الاسم الذي يطلق عليها، فأي علامة يمكن أن تحل محل الاسم، كما أن أي ضمير من الضمائر يمكن أن ينهض بهذه المؤونة ولا حرج، فالرقم مثلا علامة اسم"[19].

وهكذا يكون "مرتاض" قد أثبت معنى الشخصية من خلال وجود علامة تدل على اسمها ومواصفاتها، بحيث يأتي دورها لاحق لهذا الاسم وهذه العلامة، وهو فعلا ما حققته الرواية الجديدة ضد الرواية التقليدية التي كانت تعتبر الشخصية كل شيء بالنسبة لها، ومما زاد من حدة الموضوع أن هذا الأمر لم يتحقق عربيا في نظر الناقد وبقيت أمثلته غربية فحسب.

---

[17] ـ فريال كامل سماحة، في رسم الشخصية في روايات حنا مينا، ط 01، 1999م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ص 18.17.

[18] ـ عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، دراسة سيميائية تفكيكية لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر 1995م، ط 04، ص 126.

[19] ـ عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص 86.

3. مصطلحا الشخصية المدورة والشخصية المسطحة

1.3. مصطلح الشخصية المدورة

يعرف "مرتاض" هذا المصطلح انطلاقا مما ذهب إليه تودوروف و ديكرو و فوستر بقوله: "هي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال ولا تصطلي لها نار ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها لأنها متغيرة الأحوال "20، غير ثابتة تتبدل مع كل الأحداث الواردة في النص.

2.3. الشخصية المسطحة

و هي الشخصية الثابتة في مواقفها وصفاتها و أحوالها، وهي عند الناقد "تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة، وهذا التعريف متفق عليه في النقد العالمي شرقيه و غربيه"21.

4. مصطلح السردية Narratologie

لقد ألفينا اختلافا كبيرا في تسمية مصطلح السردانية بين من يطلق عليها السرديات، السردية، وسردانية. ..الخ وكلها تصب في كلمة واحدة أو علم واحد وهو علم السرد. يقول الدكتور "هيثم سرحان" مؤكدا على عدم ثباته واستقراره،

> *"لا يزال مصطلح السرديات Narratologie يعاني من عدم الاستقرار شأنه شأن باقي المصطلحات التي تفتقر إلى تحديد مفاهيم دقيقة؛ لأنها لا تزال في طور التشكل و التبلور مما يدل على أن هذا العلم في تحول مستمر"[22]،*

وهو ما أكد عليه "يوسف وغليسي" في كتابه إشكالية المصطلح في النقد الجديد عندما أرجع سبب عدم ثبات إلى هجرة المصطلح وانتقاله من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية بقوله:

> *"لابد لعائلة اصطلاحية على الحال من التقلب في المفهوم، داخل المناخ الثقافي والأرضية اللغوية التي ترعرعت فيها، أن تزداد حالها تقلبا واضطرابا حين تهاجر إلى لغة أخرى، كما حدث لها حين انتقالها إلى العربية؛ حيث واجهها الباحثون*

---

[20] ـ نظرية الرواية، ص 86.

[21] ـ نفسه، ص 89.

[22] ـ هيثم سرحان، الأنظمة السيميائية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2008م، ص 61.

العرب المعاصرون بجهود انفرادية تعوزها روح التنسيق الاصطلاحي على مستوى "الحدود" التي تنعكس ـ حتما ـ على مستوى المفاهيم."[23]

والمقصود من هذا أن عملية الترجمة القاصرة للمصطلح هي المسبب للاضطراب في التسمية والتداول وهو ما يؤدي إلى الخلط وعدم الاتفاق بين النقاد في الاصطلاح الواحد ما يفسر عملية تعدد المسميات لكلمة واحدة.

وهذا واضح في أخذ النقاد لمسألة الترجمة والتعريب بحيث تراوحت مصطلحاتهم بين من يفضل مصطلح السرديات، السادية، الخطابية، الشعرية، السردانية، علم السرد...، وقد تحدث مرتاض عن مصطلح السردية وهو يسميه "السردانية" بقوله:

" إن السردانية تركح على السرد والسرد يجسده العمل السردي، والعمل السردي يركح على الذاكرة الشفوية والذاكرة الشفوية تركح على الذاكرة الجماعية والذاكرة الجماعية تجسد ذهنية شعب من الشعوب بامتياز..."[24]

ولعل شرح هذه المقولة يفضي بنا إلى نتيجة مفادها أن السردية لدى "مرتاض" تعني في الأغلب وجود مجموع من الحكايات الشعبية المحفوظة في الذاكرة الجماعية، فالمعنى هنا جلي ويحمل خطابات عدة داخل الحكاية الواحدة لتتميز في الأخير بوجود أكثر من مؤلف لأن السردية تتطلب ذلك.

كما أكد الناقد على وجود السردانية من خلال تقنين شبكة السرد المتكونة من العمل السردي والسارد والمسرود له... بالقول أن:" *أن السردانية هي الشبكة المتكونة من السارد والمسرود له، بحيث تحتاج هذه الشبكة إلى تقنين لم يتحقق.*"

5.مصطلح السارد Narrateur/Narrator

يتعلق مصطلح السارد بمن يحكي القصة أو الرواية بشكل عام، مستعملا في ذلك أداة للحكي وهي الأحداث والأفعال التي تحدث أو تطرأ فجأة على الشخصية لأنه من صنع المؤلف وقد فرق الناقد مرتاض بين مصطلحي المؤلف والسارد من خلال الوظيفة والدور الذي يختص بهما. بهذا يكون السارد شخصية سردية متخيلة تعبر عن وظيفة الحكي من

---

[23] ـ يوسف وغليسي، اشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 01، 2009م، ص 281.

[24] ـ نظرية الرواية، ص 220.

خلال اعتبارها وسيطا بينها وبين المؤلف الذي يعتبره العون السردي له في تقديم الأحداث لذا فإن السارد يعرف بأنه: "*الذات الفاعلة لهذا التلفظ* "[25]، والمقصود بالتلفظ هو الحكاية المروية التي تلفظ بها المؤلف و اختار لها ذاتا تحكيها أي ذات تقوم بفعل السرد، لذلك يعتبر السارد وسيطا بين المؤلف والشخصيات من جهة وبين الحكاية و المؤلف من جهة أخرى.

وقد جاء في نظرية الرواية لعبد الملك مرتاض مفاهيم ساقها ليثبت مدى رفضه لها حينا وقبوله حينا آخر بقوله:

> *"ليس السارد هو المؤلف ذلك واضح وإنما السارد شخصية خيالية يتحول المؤلف من خلالها، فكأن شخصية السارد من المنظور الملتوي العجيب تقع وسطا بين المؤلف والشخصية الفاعلة في العمل السردي أو قل إن السارد كما يزعم "بوث" شخصية منزوعة عنها صفاتها وليس لها وظيفة "*[26].

يقدم "مرتاض" هنا معنا بسيط للسارد كما لا يرفض خياليته بشرط أن تكون في أطوار معينة من العمل السردي، لأن المؤلف وهو يؤلف روايته يكون واعيا بإبداع شخصياته خاصة السارد لأنها من الممكن أن تكون بطلا لهذا العمل، يقول الناقد موضحا خيالية السارد وعدم رفضه لها، "*إننا نسلم بخيالية السارد في أطوار معينة من العمل السردي، لكن كيف يمكن أن يتحول المؤلف إلى كاتب غريب معتوه غير واع، غير مفكر عن طريق شخصية السارد؟*"[27]. وفي خضم اختلاط المعاجم والترجمات من طرف النقاد لهذا المصطلح تجدر الإشارة إلى أن هناك من يطلق عليه مصطلح الراوي كم هو موجود في معجم السرديا ت القائل أصحابه "*أن الواسطة بين العالم الممثل والقارئ، وبين القارئ و المؤلف الواقعي تشكل وجود راوي للقصص، فهو العون السردي الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية* "[28].

إن كلام محمد القاضي في هذا المعجم يفسر ما ذهب إليه مرتاض عندما شرح كيفية تأليف الرواية ووضعية السارد داخلها. كما جاء مصطلح الراوي عبارة عن "*عنصر قصصي متخيل*

---

[25] ـ سعد الوكيل، تحليل النص السردي، معارج ابن عربي نموذجا، الهيئة العامة للكتاب المصرية، القاهرة، مصر، دط، 1998م، ص 60.

[26] ـ نظرية الرواية، ص 207.

[27] ـ نفسه، ص 206.

[28] ـ محمد القاضي، معجم السرديات، ص 195.

شأنه في ذلك شأن سائر العناصر المكونة للأثر القصصي، فإن دوره أهم أدوارها جمعيا لأنه صانعها الوهمي وعلة وجودها"[29]. مما يفهم أن بوسع الراوي التمثيل والظهور بكيفيات عدة حتى يتسنى له الحكي بصفة حقيقية خاصة إذا كان السرد الذي وظفه المؤلف بصيغة المتكلم.

فالراوي عند رشيد بن مالك هو الذي

> *"يجسد المبادئ التي تقوم عليها الأحكام التقييمية وهو الذي يخفي أفكار الشخصيات أو يجلوها، ويجعلنا بذلك نقاسمه تصوره للنفسية وهو الذي يختار الخطاب المباشر أو الخطاب المحكي ويختار النظام التسلسلي أو الانقلابات الزمنية فلا وجود لقصة بلا راو. "[30]،*

إذن فالراوي هنا المسير للعملية الحكائية به يبتدأ الحكي وينتهي عن طريق الخطة التي رسمها المؤلف فالكثير من الدراسين يختلط عليه الأمر بين المؤلف والسارد لأنه أحيانا يصبح المبدع هو السارد نفسه وأحيانا يصطنع المؤلف هذا السارد ويكلفه سلطة الحكي بالكامل فلا يتدخل المؤلف إلا نادرا.

وللتفريق بين المصطلحين اجتهد مرتاض في وضع هذه الفروق مؤكدا على مسألة الالتباس التي تحدث والتي سببها اندساس الأول في الثاني بحيث يصبحا نفسا واحدة يصعب التفريق بينهما.

يتخذ مرتاض جانبين مهمين للتفرقة بين المؤلف والسارد

- أولهما: عدم وجود المؤلف وموته في النقد الروائي الحداثي الغربي، لأن هذه المقولة ألغت السارد.
- ثانيهما: التباس المؤلف بالسارد أو اندساس السارد في المؤلف إلى درجة عسر التمييز بينهما تمييزا إلا لدى الحذاق. "[31]

وقد فصل مرتاض في بعض المفاهيم التي تفرق بين مصطلحي المؤلف والسارد من خلال جملة من العناصر كان أولها ما يلي:

---

[29] ـ معجم السرديات، ص 195.

[30] ـ رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص 119.

[31] ـ نظرية الرواية، ص 221.

- أن المؤلف مؤلف والسارد سارد أي لا هذا يكون ذلك ولا ذلك يكون هذا فأحدهما يكتب ويسجل عالما يخترعه بنفسه لنفسه أو متلقيه ويقدمه في خطاب مكتوب.
- السارد لا يكون أساسا إلا في المسرودات الشفوية أما السارد في المكتوبات فإنه يندمج اندماجا كليا في المؤلف.
- أن السارد لا ينبغي له أن يكون مؤلف أبدا ولكن وضعه يمثل في المحكيات) الحكاية الشعبية، الأسطورة، الخرافة)لا في المحكيات الكتابية) الرواية، القصة، الأقصوصة).

يفهم من هذه العناصر أن الناقد يقصد بمصطلح السارد ذلك الشخص الذي يروي الحكايات والقصص الشعبية التي يتناقلها الأجيال بدون مؤلف وهو هنا راويا لا ساردا، اما السارد فإنه يتطابق مع ما هو مكتوب من القصص والسرد بصفة عامة.

6.مصطلح المروي له أو المسرود له Narratee /Narrataire

يتعلق هذا المصطلح بوجود قارئ للعمل السردي وهذا باختلاف أجناس القراء داخل التشكلية الاجتماعية وقد أخذت مسألة المسرود له حيزا معتبرا من الدراسة عن طريق مجموع الباحثين المختصين في نظريات القراءة الحديثة وكذا المهتمين بشؤون السرد والسرديات على حدا السواء كما يتعلق أمر المروي له بالإبداعات الشفوية والنصية المكتوبة التي تصف الأحداث بناء على واقعيتها تارة وخيالها تارة أخرى. يضاف إلى هذا أن البحث في مصطلح المسرود له يجد له مصطلحات تقاسمه المعنى إفرادا وجملة منها القارئ، المروي له، القارئ الضمني، المفترض والمحتمل والمتخيل كذلك. وقد خصه مرتاض بمصطلح "القارئ" واكتفى أثناء حديثه عن العلاقة بين المؤلف والقارئ بقوله: "*القارئ هو الذي يتلقى النص الروائي جاهزا كاملا، محبوكا، مصنعا، مرتبا، بحيث ليس عليه هو إلا أن يقرأ ويتمتع بما يقرأ... فدوره كان إذن إستهلاكيا محضا.*"[32] ويتحدث الناقد هنا عن قارئ الروايات السابق زمنيا عن هذا العصر أو ما يعرف بقارئ الانتاج التقليدي الذي لم يكن له دور إلا القراءة فحسب، دون إبراز رأيه، أي أنه يعمل على استقبال و تلقي العمل السردي لأجل المتعة و التسلية بطريقة إستهلاكية غير منتجة لما هو جديد.

أما قارئ الكتابة الجديدة فقد أضحى دوره الانتاج والتكملة لما هو ناقص وينتظر منه الرد برأي يخدم النص بالأكيد. وهو كذلك كما عبر عنه مرتاض حينما اعتبر بأن دور القارئ

[32] ـ نفسه، ص 209.

اليوم أضحى " مركزيا، ذلك لأن النص الذي يقدم إليه ليس كاملا و لا جاهزا ولا مصنعا ولكنه نص غير محبوك و ينتظر قارئه أن يبذل فيه جهدا يكمل به بناءه، فدور القارئ في مثل هذه الحال كأنه بنائي، لا إستهلاكي فكأنه وهو يقرأ يتناص مع المؤلف فيحاول مواكبته بإكمال بناء النص المقروء"، وهذا يفسر أن مجيء الحداثة غير من مكانة القارئ وأصبح يشارك المؤلف في عمله متروحا بين ناقد له و محللا وشارحا وواصفا و مكملا في أحيان كثيرة، بل و كما جاءت به نظرية القراءة والتلقي لدى ياوس و اخنباوم و يونغ و غيرهم ممن أكدوا على مكانة القارئ و دعوا الدراسين إلى الأخذ بها.

أما أثناء البحث عن مصطلح المسرود له في المعاجم الغربية فإننا نجد له تعريفا خصه به "جيرالد برنس" في كتابه المصطلح السردي الذي جمع فيه أغلب مصطلحات النظرية السردية بصفة عامة، بحيث يعتبر المسرود له هو ذلك

"الشخص الذي يُسرد له و المتوضع أو المنطبع في السرد، وهناك على الأقل (واحد و أكثر يجري إبرازه ظاهريا) مسرود له لكل سرد يقع في مستوى الحكي للسارد نفسه الذي يوجه الكلام له أولها، وفي سرد ما يمكن أن يكون هناك عدة مسرودين لهم كل واحد منهم يوجه له الكلام بالتناوب من سارد واحد Viper'sTangle أو سارد مختلف The immoralist "[33]

كما يمكن أن يمثل هذا المسرود له واحدا من الشخصيات الموجودة الموظفة في النص بدور أقل أهمية من وجوده كقارئ أو متلقي بحيث نجد أن الشخصيات هي نفسها المتلقية لهذا الحكي في أجزاء بسيطة ومواقف قليلة.

بحيث نجد عربيا أن لطيف زيتوني يعرف مصطلح المروي له بقوله

"المروي له هو ذاك الذي يتوجه إليه الراوي بكلامه، والقارئ الحقيقي réel هو الذي يقرأ الكتاب فعلا، و القارئ المحتمل virtuel هو ذاك الذي من شأنه أن يقرأ الكتاب، والقارئ المثالي idéal هو ذاك الذي بوسعه أن يفيد من كل إمكانات النص ويعرف خلفياته و أبعاده، أما القارئ الخيالي fictif فهو الذي يرد إسمه أو صفته صراحة في نص الرواية"[34]،

---

[33] ـ جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص 142.

[34] ـ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 132.

أما مرتاض فقد ربط مسألة الكتابة بالقراءة ربطا حميما بحيث لا يوجد عمل سردي دون سارد ولا مستمع أو قارئ، وحيث يوجد باث للعمل يوجد متلق له.[35]

خاتمة

لقد كانت هذه مجمل المصطلحات التي تناولها مرتاض في نقده للرواية تنظيرا والتي توحي بنوع من التعميم في الطرح فلم تكن المصطلحات خاصة بنص الرواية وحده لكنها كانت عامة وتخدم أو تصب في مصب السرد عامة، كما كانت هذه المصطلحات عبارة عن استراد لكثير مما هو موجود عند الغرب، وهذا ما تفرضه طبيعة العصر أو بالأحرى ما تفرضه المرجعية الفكرية والثقافية التي تشعب منها الناقد، وعليه فإننا توصلنا إلى جملة من النتائج كان أهمها مايلي:

- تجلى المصطلح النقدي للناقد في دائرة ما هو سردي قديمه وحديثه.
- الاعتماد على ما هو نظري في تبنى المصطلح بحيث لا يقاس على وجوده ضمن النص الروائي فقط.
- رفض مرتاض لكثير من المصطلحات التي جاء بها النقد الغربي مثل القارئ الضمني والسارد الضمني وغيرها.
- شمولية هذا المتن وتناوله لكثير من المصطلحات التأصيلية العامة الموجودة عربيا.
- تحيز الناقد لبعض المصطلحات دون غيرها، وتفرده بها مثل مصطلح الحيز بدل المكان أو الفضاء.

[35] ـ ينظر نظرية الرواية، ص 231.